

تجارب الأزواج المتعلقة بالولادة وإنجاب الطفل الأول

إنَّ حديثنا اليومي اختفى لأن كل التركيز أصبح فجأة على الطفل، صحيح أنه أمرٌ ممتع إلى حدٍّ كبير، إلا أنك تبدأ أيضاً بملاحظة خسارتك لكثيرٍ من الأمور.

بعد ستة أسابيع من ولادة الطفل قمنا بزيارة الأزواج في مجموعة الانتقال مرّةً ثانية في منازلهم. كما فعلنا في المرّة الأولى فقد قابلنا الزوجين معاً وسجّلنا النقاش الذي أجريناه معهما (قابلنا 92 من الأزواج في هذه المرحلة من الدراسة). ركّزت هذه المقابلة على موضوعين أساسيين: كيف تلاءم الأزواج مع المخاض والولادة وكيف كان استجاباتهم في الأيام الأولى من حياة الطفل.

المخاض والولادة

في هذه المقابلة وجّهنا أوّل ثلاثة أسئلة عن تجربة المخاض والولادة للزوجات. سألناهنّ عن طول فترة المخاض وأنواع

المسكنات التي استخدمتها ونوع التدخل الجراحي. صُممت هذه الأسئلة لتمكين الزوجات من الحديث عن تجاربهنّ ولكي نأخذ فكرة عن صعوبة أو سهولة الولادة بالنسبة إليهن.

صعوبة أو سهولة الولادة

ليس مدهشاً أن تُظهر إجابات الزوجات عن هذه الأسئلة اختلافاً كبيراً في تجاربهن. عدد ساعات المخاض تراوح ما بين ساعة إلى 48 ساعة وقد ذكرت نصف الزوجات أنّ مخاضهنّ استغرق 11 ساعة فأكثر. إن الطيف الواسع من الأجوبة عن هذا السؤال يعكس بلا شك تنوع المخاض بحد ذاته إضافة إلى صعوبة تحديد بداية المخاض دون معلومات من الجهة الصحيّة التي أشرفت على الولادة. عدد قليل نسبياً من الزوجات ذكرن أنّهنّ استخدمن الوسائل الطبيعيّة فقط لتسكين الألم كالمساج والمغاطس الدافئة. ذكرت 15 من الزوجات أنّ أقوى الطرق التي استخدمتها لتسكين الألم كانت إما باستعمال أكسيد النتروز أو البيتيدين ولكن معظم النساء (60%) قلن إنّهنّ خضعن لتخدير ما فوق الجافية.

أربع زوجات خضعن للتخدير العام لتسهيل ولادة أطفالهن الذين كانوا معرضين للخطر. ربع الولادات لم تحتج إلى تدخل جراحي. 44% من النساء خضعن لجراحة بسيطة (مثل توسيع الفرج جراحياً) و31% خضعن للولادة القيصرية. 13 من الأطفال ولدوا قبل ثلاثة أسابيع على الأقل من الوقت الطبيعي للولادة وقد ولد أبكر طفل قبل سبعة أسابيع من الوقت الطبيعي.

التوقعات مقابل التجارب

بعدما حصلنا على هذه المعلومات الأساسية عن الولادة، دعونا كُلاً من الرجال والنساء للحديث عن تجاربهم مع المخاض مقارنةً بتوقعاتهم (كل الأزواج كانوا حاضرين عند ولادة أطفالهم). معظم الأزواج (أكثر من 70٪) قالوا إن المخاض كان مختلفاً عما توقعوه. لكن من المثير أنه لم يكن هناك نمطاً واضحاً للاختلاف عن التوقعات.

على الجانب السلبي قالت 14 من النساء و7 من الرجال قالوا إن المخاض كان أصعب أو أطول مما توقعوه. ملاحظة أخرى ذُكرت من بعض الرجال والنساء (17 زوجاً) هي أنهم فوجئوا بمدى العجز وعدم الدقة على التحكم الذي شعروا به خلال الولادة. إضافة إلى ذلك فإن 13 من النساء ذكرن أن الولادة كانت أكثر إيلاماً مما توقعنه (على الرغم من مشاركة الأزواج في الحديث عن مستوى الألم إلا أنه من الواضح أنهم كانوا مترددين في الحديث عن مستوى الألم لأنهم اعتقدوا أنه من غير المناسب أن يفعلوا ذلك لأنهم لم يعيشوا تجربة المخاض بشكل مباشر).

بالمقابل فإن عدداً لا بأس به من الأزواج ذكروا أنهم عاشوا تجارب إيجابية غير متوقعة عن الحمل والولادة. 22 من النساء و11 من الرجال قالوا إن المخاض كان أقصر أو أسهل مما توقعوه و4 وجدوه أقل إيلاماً مما توقعوه.

الملاحظة الآتية من إحدى الزوجات تبين موقفها الإيجابي من المخاض والولادة ورضاها عن التجربة:



عندما كنتُ حاملاً سئمتُ من كُلِّ القصص المرعبة عن المخاض ومن محاولات الناس لإخافتي. كنتُ أفكر «لا، لن أفكر بهذه الطريقة، أريد أن أعاين هذه التجربة بنفسِي» وهكذا لم تكن نزهةً، كان عملاً مجهداً لكنه لم يكن بهذا السوء.

إن وجود الرجال خلال المخاض والولادة كان مهماً بالنسبة للرجال والنساء على حدٍ سواء، على سبيل المثال، قالت إحدى الزوجات:

لقد كان زوجي أول من هدأ الطفلة وقد أثر في هذا الأمر كثيراً، كونه ساعد على ولادتها ثم هددها حتى توقفت عن البكاء.

كذلك، تحدثت الرجال عن تجربة الولادة على أنها «مثيرة جداً» أو أنها «أفضل شيء» ووصفوا أنفسهم أنهم كانوا «منفعلين جداً» و«يملؤهم الشعور بالرهبة». علّق العديد من الرجال بفخرٍ على مشاركتهم في قطع الحبل السريّ وذكر أحدهم أن حجم مشاركته في عملية المخاض والولادة كانت مفاجأة سارةً بالنسبة له.

لقد شاركتُ في الأمر أكثر كثيراً مما توقعتُ. ظننتُ أنني سأجلس جانباً وأربتُ على كتف زوجتي من حينٍ إلى آخر. لكنّ الطبيب والمرضة جعلاني أشارك في الأمر «امسك هذه الرجل، افعل هذا، افعل ذلك» حقاً لقد كان ذلك أمراً جيّداً.

التجارب المتعلقة بإنجاب الطفل الأول

خلال المقابلة كنا مهتمين بشكلٍ خاص بسماع استجابات الأزواج في الأيام الأولى بعد الولادة. لكي يكون النقاشُ مركّزاً حول الموضوع طلبنا من الزوجين أن يخبرانا عن أسوأ التجارب وأفضل التجارب التي مرّ بها.

أسوأ التجارب

معظم الأزواج تمكّنوا من تسمية مجموعة من الموضوعات التي لها علاقة بالأبوة أو الأمومة والتي اعتبروها أسوأ التجارب أو أكثرها تحدياً.

إن الموضوعات التي أُثيرت من قبل خمسة أزواج على الأقل موجودة في الجدول الآتي مرتبةً حسب تواترها:

48	قلة النوم
35	الجهل بما يجب القيام به
33	نمط حياة مقيد
13	الشعور بعدم التواصل مع الطفل
10	القلق بشأن مهام المنزل
10	نقص الحميمية في العلاقة بين الزوجين
6	نقص الدعم الاجتماعي
6	الحفاضات المتسخة
6	النصائح المتناقضة

قلة النوم: نظراً للحاجات الكثيرة والدائمة التي يتطلبها الوليد ليس مفاجئاً أن تكون قلة النوم هي أكثر المشكلات التي تحدّث عنها الزوجان وما يصاحب ذلك من شعورٍ بالإرهاق والتوتر عبّرت إحدى الزوجات عن التأثيرات الشاملة التي تحدثها قلة النوم بقولها:

إنني أشعر بالتعب باستمرار، أعني، كما تعلم لا يمكنك الراحة أبداً وكأنك ترغب دائماً في التوقف عمّا تقوم به والنوم لفترةٍ وجيزة في أيّ مكان، إنّه تعبٌ دائم.

وصفت زوجةً أخرى المشكلات التي سببت لها قلة النوم ليس لها فقط وإنما لزوجها الذي كان عليه أن يوفق بين قلة النوم ووظيفته ذات الدوام الكامل:

عندما يبكي الطفل في الليل أفكّر «حسناً، يجب أن أذهب إلى العمل» وأشعر أنني مسؤولة عن إسكات الطفل. ثم يضع وسادةً على رأسه فأشعر بالإحباط.

إذن بالنسبة للرجال والنساء على حدٍ سواء برزت قلة النوم كمشكلةٍ تؤدي غالباً إلى الإحباط وسرعة الغضب وصعوبة الأداء الفاعل في المنزل والعمل. وقد وصف أحد الرجال هذه الأسباب الأولى بعد الإنجاب بقوله: إن كل ما يفعله المرء في هذه الفترة يكون مغطىً بوشاحٍ من التعب.

الجهل بما يجب القيام به: المشكلة الثانية الأكثر شيوعاً كانت الجهل بما يجب القيام به تجاه الطفل. هذه الشكوى لم تركز فقط على المسائل العملية المتعلقة بتعلم كيفية العناية بالطفل وإنما ركزت أيضاً على الاضطراب العاطفي الذي يشعر بها الزوجان عندما يجدان أنهما عاجزان عن تهدئة الطفل. برزت هذه النقاط بوضوح في الحوار الآتي بين الزوجين:

الزوجة: بالنسبة لي، أسوأ أمر هو أن تبكي الطفلة ولا أعرف ما الذي يبكيها.

الزوج: كنت أودُّ قولَ الأمرِ نفسه.

الزوجة: تطعمها وهي تبكي، تساعدنا على التجشؤ وتظل تبكي، تغير الحفاضات وهي تبكي، تهددها وهي تبكي. ثم تشعر بالعجز وتسال نفسك «ما الذي يبكيها؟». إن عجزني عن تهدئتها يمزق قلبي. نعم هذا هو الأمر الأسوأ بالنسبة لي.

أثناء حديث الزوجين عن هذا الأمر، أصبح واضحاً أن شعور الزوجين بالخوف والقلق مما يجب فعله للطفل قد يكون مربكاً وعمماً كما علقت إحدى الزوجات:

أعتقد أنه الخوف. أشعر بالهلع من حدوث أمرٍ ما للطفل. أنت لا تحظى بدقيقة واحدة من الاسترخاء. هناك عدة مستويات من هذا الشعور. أعني أنك تشعر بالاسترخاء لأنك تتمتع بوجودك مع الطفل عندما يكون سعيداً. ولكن ما تزال قلقاً عليه (أوه، إن عينيه تدوران، هل هذا أمر طبيعي) أسوأ ما في الأمر هو أنه لا تمرُّ عليّ دقيقة دون أن أشعر بالقلق بشأنه. إنني قلقةٌ عليه حتى على السنوات القادمة. إنني قلقةٌ حول المئة عام القادمة.

هناك نقطةٌ أخرى أثارها كثيرٌ من الأزواج وهي مخاوفهم مما يجب فعله لتغذية الطفل. على سبيل المثال، قالت إحدى الزوجات:

أعتقد أن صعوبات تغذيتها كانت مصدر القلق الأكبر بالنسبة لي إلا أنه منذ أن تمت تسوية هذا الأمر كلُّ شيءٍ على ما يُرام. لستُ من الحريصات كثيراً على الإرضاع، لكنني أعتقد أن تغذية طفلي كان التحدي الأكبر بالنسبة لي.

أثناء موضوع تغذية الطفل علّق بعض الأزواج على الحاجة إلى معرفة الكيفية التي تتمُّ بها التغذية. بعبارةٍ أخرى، إن الإرضاع لا يأتي بالضرورة بشكلٍ طبيعي:

لم يكن الأمر سيئاً جداً، لكنّ مشاهد الكلاب والقطط والخنازير التي تُرضع أطفالها والتي تُعرضُ في التلفاز تُظهر الأمر وكأنه سهلٌ جداً لا أدري، إن الأمر ليس كذلك إن إرضاع الطفل ككائن بشري لا يُعدّ أمراً طبيعياً بالنسبة لي. إنه ليس «حسناً، دعيه يستلقي بين يديك ويمصُّ» إن الأمر ليس بهذه السهولة.

قبل أن نتجاوز موضوع الإرضاع من المهم أن نبيّن أنّ بعض الأمهات يتعاملن مع هذا الموضوع بشكلٍ عاطفي. إنّ الرغبة الشديدة في فعل ما هو الأفضل بالنسبة للطفل قد تعني أنّ الأمور العملية المتعلقة بالإرضاع يتمُّ التعامل معها بعاطفة زائدة كما يظهر في التعليق الآتي:

أنا مؤمنة تماماً بفوائد الإرضاع. لكنني قضيتُ يومين من الأيام الأربعة الماضية وأنا أبكي اعتقاداً مني أنني سأضطربُ إلى تغذية الطفل بالزجاجة. ربما كان هذا هو الأسوأ بالنسبة لي. إن قلّة النوم لم تسبّب لي من الشدّة النفسية بقدر ما سبّبهُ الإرضاع.

الخلاصة إذن، إنّ عدداً لا بأسَ به من الأزواج شعروا بالانزعاج والاضطراب خلال الأسابيع الأولى التي تلتّ إنجاب الطفل. على الرغم من أنّ الكثيرين منهم قد قرؤوا كتباً عن الإنجاب ومن أنّ الآخرين حدّثوهم عن تجاربهم، إلّا أنهم غالباً ما

شعروا أنّ رعاية أطفالهم مرّت بمنحى تعلّم حاد جداً وأنّ معظم ما تعلّموه حدّث عن طريق «التجربة والخطأ».

نمط حياة مقيد: الموضوع الآتي الذي برز في شكاوى الأزواج من المرحلة التي تلي إنجاب الأطفال هو القيود التي يفرضها الطفل الجديد على نمط حياتهم ونشاطاتهم اليومية. إنّ الحاجة إلى تنظيم أمور الطفل والأشياء الروتينية التي يحتاجها الطفل موضّحة في الاقتباس الآتي من إجابة إحدى الأمهات الجديديات اللواتي شاركن في الدراسة:

إن نمط حياتك يختلف بشكل جذري أعني أنه عندما يتصل زوجي ويطلب مني أن أرافقه في الذهاب للتسوّق أقول له «أوه، انتظر عليّ أن أطعم الطفلة وأن أفعل وأن أفعل، إنها مريضة الآن ولا أريد إزعاجها» ثم يستغرق الأمر 45 دقيقة لكي أحضّر حقيبة الطفلة وأهبيّ نفسي لكل الاحتمالات. إنّهُ أمرٌ مختلفٌ تماماً، فيما مضى اعتدتُ على مغادرة المنزل دون أن أقلق بشأن أيّ شيء. اليوم هناك عربة الطفلة وكرسیها والزجاجة والماء وهذا وذاك ومن الأفضل أن أحضر ثياباً، من الأفضل أن أحضّر هذا الشيء، من الأفضل أن أحضّر ذلك الشيء، ربما كان الجو بارداً من الأفضل أن أحضّر غطاءً. ثم أخرج من باب المنزل وأنا ما زلتُ بالبيجاما!

بدلاً من الشعور بالعجز في مواجهة هذه المتطلبات، تحدّثت بعض الزوجات كيف أن التخطيط يساعد على التقليل من هذه المشكلة في الحقيقة إنّ متطلّبات الطفل الجديد قد تدفع الأمهات إلى أن يُصيحن أكثر دقّةً مما كُنَّ عليه من قبل!

أصبحت دقيقةً في مواعيدي الآن. قبل ذلك لم أكن كذلك كنت دائماً متأخراً من 15 إلى 20 دقيقة. الآن ألتزم بالمواعيد لأنه إذا قال لي أحدهم «سأقابلك في الواحدة والنصف» أبدأ بالتفكير «حسناً، سأستغرق ساعةً في القيام بهذا الأمر وكذا من الوقت للقيام بذلك الأمر وهكذا..» لقد أصبحت أحضر نفسي لموعد الواحدة والنصف وكأنه في الساعة العاشرة.

الشعور بعدم التواصل مع الطفل: عددٌ أقل من الأزواج ذكروا أنهم كانوا يشعرون بالقلق من كونهم (غير مهتمين) بالطفل أو كونهم غير قادرين على إقامة علاقة معه كما كانوا يأملون. على الرغم من أن بعض الرجال ذكروا أنهم لم يكونوا يُكنون الكثير من المشاعر للطفل في تلك الفترة، إلا أن أقوى المخاوف من هذا الموضوع كانت صادرة عن النساء بعبارة أخرى لم تكن تلك الزوجات أكثر شعوراً بعدم التواصل مع الطفل من أزواجهن لكن هذا الشعور كان يقلقهن أكثر من الأزواج بسبب مسؤولياتهم اليومية في رعاية الطفل. بالنسبة لبعض الزوجات كانت تلك المشاعر قصيرة الأمد:

في البداية لم يكن باستطاعتي القول أنني أحببتها، لقد اعتقدت أنها على ما يُرام وكان الجميع يتحدثون عن لطفها وعن كوني محظوظة لأنها ابنتي وكان هذا كلُّ ما في الأمر.

حتى في الأيام الأولى فإنَّ مشاعر من هذا النوع قد تثيرُ شكوك الأمِّ حول قدرتها على أداء دور الأم. إحدى الأمهات الجديرات عبّرت عن هذه الشكوك بهذه الطريقة:

لقد كان الأمر مضحكاً بالنسبة لي. لم أشعر أنني أحببته
وكنت قلقةً من ذلك حقاً. كنت أفكر «سأكون أمّاً مُريعة» لأنني لم
أحمل أيّ مشاعر تجاهه في تلك المرحلة.

في الوقت الذي جرت فيه هذه المقابلة الثانية كان القليل من
الأمّهات ما زلن يعانين من الشعور بعدم التواصل، على الرغم من
أنّ هذا الشعور كان يتناقص ببطء:

أجد صعوبةً في البقاء لوحدي في المنزل مع الطفل. أجد صعوبةً
في تصديق أنّ لديّ طفلاً. نعم لا أشعر بالتواصل التام معه.

لقد شعرتُ بمشاعر لم أكن أتوقّعها من قبل كالمرارة والغضب.
نعم، أعني قبل أن أعرف طفلي تماماً كنت أجدُ صعوبةً كبيرةً في
التعامل مع صراخه وكأنّ صوته كان يخترقني اختراقاً.

القلق بشأن مهام المنزل: تحدّث العديد من الأزواج عن صعوبة
القيام بمهام المنزل. قالت إحدى الأمّهات الجديديات «إن محاولة
القيام بأعمال المنزل هي أمرٌ آخر إنه أمرٌ مستحيل» على الرغم
من أنّ هذه الموضوعات كانت تُثار من قبل النساءِ عادةً إلا أنّ
محتوى النقاشات يبيّن تأثير هذا الموضوع على كلا الزوجين:

الزوجة: الأمر الأسوأ هو المشاركة أو عدم المشاركة في
المسؤوليات كأنّ تستيقظي ليلاً لتفعلي أموراً من هذا القبيل. هناك
أعمالٌ لا يتمُّ إنجازها في المنزل لأنه ليس لديك الوقت الكافي
للقيام بها وهناك شخصٌ ما يتوقع منك القيام بها.

الزوج: شخصٌ ما؟

هذا النقاش يُظهر كيف أنَّ المشاعر حول أداء مهام المنزل مرتبطة بتوقعات كُلِّ من الزوجين من الطرف الآخر وبموضوعات المشاركة والمساواة. لكنَّ توقعات الأزواج من أنفسهم مهمٌّ أيضاً، لأنَّ المقاييس العالية التي تضعها الزوجات لمهام المنزل قد تكون صعوبات في هذا المجال:

أجد بعضَ الصعوبة لأنني أحبُّ الاستقلال ، والآن أنا مضطَّرةٌ للاعتماد على زوجي كثيراً وللتخلِّي عن مهام هي من مهام المرأة عادةً كفصل الصحون وتنظيف المنزل. ما زلتُ أشعر أنَّه يجب عليَّ القيام بهذه الأمور وإذا لم أقم بها أشعرُ بنوعٍ من الفشل.

كما شاهدنا في الفصل الأوَّل، إنَّ متطلَّبات الموازنة بين العناية بالطفل ومهام المنزل والوظيفة قد يدفع الأزواج إلى مزيدٍ من التقسيم التقليدي للعمل. كثيرٌ من الأزواج قد يكونون راغبين فعلاً في مشاركة الطرف الآخر في مسؤوليات الطفل الجديد وغيرها من مهام المنزل، لكنَّ هذه المشاركة قد تكون صعبة التطبيق في الواقع. أحد الآباء لاحظ أنه على الرغم من الحوارات المتبادلة مع زوجته ومن نيَّته الحقيقية في المشاركة فإن ترتيبات المشاركة بدت وكأنها لا تعمل. مع زوجين آخرين كانت الزوجة قلقة جداً من الاتجاه غير المتوقَّع الذي سلكه تقسيمُ العمل في المنزل.

إن أكثر الأمور التي سبَّبت لي شعوراً بالاضطراب في بعض الأوقات هي عندما كنتُ أجد المسؤولية تتراكم على أحد الطرفين

أكثر من الطرف الآخر وعندما كنت أشعر أنّ عائلتنا تتحوّل إلى عائلة تقليدية حيث المرأة تلد الطفل ويقوم الرجل بتحصيل المال. ولم يكن هذا ما أردناه، لأنه لم يكن ما كنّا نحصل عليه.

نقص الحميمية في العلاقة بين الزوجين: بالنسبة لبعض الأزواج لم يكن الجزء «الأسوأ» المتعلّق بالإنجاب مرتبطاً بتفاعلهم مع الطفل الجديد أو بأنماط العمل المنزلي. بل كانوا قلقين من اضطراب علاقتهم مع بعضهم نتيجةً لمتطلبات رعاية الطفل الجديد هذا القلق من نقص الحميمية في العلاقة بين الزوجين يظهر في الحوار الآتي بين زوج وزوجته:

الزوجة: أعتقد أن الأمر الآخر الذي وجدته صعباً هو نقص التواصل مع زوجي، لأنك فجأةً أصبح لديك طفل يبكي ويحتاج إلى تغيير ملابسه وطعامه. لقد قضينا أربعة أسابيع دون أيّ نقاش. كنت أقول له «كيف العمل؟» فيقول لي «جيد» عند هذا الحدّ يقتصرُ الحوارُ بيننا طوال المساء.

الزوج: (يهمهم ثم يضحك).

الزوجة: لقد وجدت الأمرُ صعباً للغاية. لأننا كنّا سابقاً نتحدّثُ بشكلٍ دائمٍ ونُقيمُ حواراً مفتوحاً فيما بيننا. واليوم وصلتُ إلى حدٍّ أجد فيه من الصعوبة بمكان الجلوسَ والحديث عن كيفيةِ قضائي ليومي وأمورٍ من هذا القبيل. إنّه لأمرٌ صعبٌ حقاً.

كذلك تحدث أزواجٌ آخرون عن افتقارهم «للوّقت الذي كانوا يقضونه معاً» و«الأوقات التي كانوا يتصرفون فيها بعفوية» لقد

وجدوا نقص الوقت الذي يقضونه معاً مصدرراً أساسياً من مصادر الشدة التي تتعرض لها علاقاتهم الزوجية.

كذلك أكدت تعليقات الأزواج الرأي السائد بأن إنجاب الطفل الأول تقلل من الحميمية بين الزوجين ليس على صعيد التقليل من الحوار والوقت الذي يقضيانه معاً وإنما أيضاً على صعيد الاتصال الجنسي وغيره من التواصل الجسدي. علق أحد الأزواج قائلاً:

لقد تغيرت علاقتنا تماماً. أعني، أننا اعتدنا على العناق وتقبيل بعضنا وما إلى ذلك. اليوم لا نفعل أي شيء من هذا القبيل. لقد ذهب كل ذلك مع الريح.

إحدى الزوجات علقت تعليقاً مشابهاً عندما ذكرت أن أسوأ أمر يتعلق بإنجاب الطفل الأول كان «مقاطعات العناق» بسبب الطفل. بالطبع إن مستويات الحميمية الجسدية تأثرت بمشاعر الزوجين بالتعب وبنقص الوقت الذي يقضيانه معاً. عبرت عن ذلك إحدى الأمهات بقولها:

ولكن عندما يكون هناك طفل وأنت تسعى طوال اليوم للتلاؤم معه.. وكذلك عندما يكون كلانا متعباً..

بعض الأزواج شعروا بالمرارة من هذا النقص في الحميمية الزوجية.

في الحقيقة تحدثت إحدى الأمهات الجديديات عن مدى افتقادها للوقت المشترك الذي كانت تقضيه مع زوجها وأنها شعرت وكأن الطفل «تطفل» على علاقتها مع زوجها.

نقص الدعم الاجتماعي: بالنسبة للأزواج الذين تحدثوا عن نقص الدعم الاجتماعي فقد اشتكوا إما من غياب الدعم بسبب البعد الفيزيائي بين أفراد العائلة أو من الشدة التي سببتها صعوبة التفاعل مع الأصدقاء أو أفراد العائلة.

إن غياب أفراد العائلة أدى إلى نقص الدعم العاطفي والمادي. على سبيل المثال، عبرت إحدى الأمهات الجديديات عن أساها من عدم وجود أفراد عائلاتها التي كان من الممكن أن يشاركوها في مشاعرها تجاه الطفل الجديد:

الأمر الأسوأ هو أن تكون بعيداً عن أمك وأن لا تكون هناك عائلة حولك. لقد كنتُ في المستشفى وذهب زوجي إلى المنزل الفارغ وتركوني مع كل المشاعر التي كنتُ أشعرُ بها.

التعليق الآتي الذي أبداه أحد الآباء الجدد ركز أكثر على المساعدة العملية التي كان من الممكن أن يقدمها أفراد العائلة:

ليس لدينا أي دعمٍ عائلي هنا. فليس هناك جداتٌ يأتين ويساعدن في غسل الثياب أو طهي الطعام أو أي شيءٍ من هذا القبيل.

هناك مصدر آخر للصعوبة التي قد يعاني منها الزوجان في التعامل مع الآخرين في هذه المرحلة وهو التدخل الزائد في شؤونهم. بعبارةٍ أخرى ذكر بعض الأزواج أن أصدقاءهم أو أفراد عائلاتهم حاولوا أن يتحكّموا في طريقة العناية بالطفل وأنهم شكّلوا ضغطاً كبيراً على الزوجين في هذه المرحلة. إن التأثيرات

السلبية لبعض التفاعلات من قبل أفراد العائلة ذوي النوايا الطيبة قد وصفتُ بشكلٍ حيٍّ في التعليق الآتي:

لقد أرسلتُ عائلتي إلى منزلها (تضحك)، لقد كان وجودهم هنا سبباً للكثير من المشكلات. ربما لا أكون أطيّب الناس معشراً، لكن وجود شخصٍ ما يكبرك كثيراً ويختلف عنك كثيراً هو أمرٌ صعب جداً بالنسبة لي، إلى درجة أنني أوشكتُ على التخاصم مع والدته في بعض الأحيان، بل تخاصمتُ معها فعلاً. إنها تتدخل في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ولا تدعني وشأني وهذا يدفعني إلى الجنون.

كذلك يوضّح النقاش الآتي بين رجلٍ وزوجته الضغط الناجم عن متطلبات الضيافة التي تلزمُ الزوّار الكثر من الأصدقاء وأفراد العائلة: الزوجة: الأمر الأسوأ هو محاولة تلبية طلبات كل الزوّار.

الزوج: نعم. إما أن يزورك بعض الناس لشرب بعض البيرة أو لاحتساء الشاي ليلاً. وهكذا لدينا زوّارٌ طوال الوقت وبعضهم قد يبيتُ عندما .

الحفاضات المتسخة: نظراً لطبيعة المشكلات التي أثارها الأزواجُ (نقص النوم، والاضطراب الناجم عن العناية بالطفل) ليس مدهشاً أن يذكر بعض الأزواج (تغيير الحفاضات المتسخة) على أنه الأمر الأسوأ. لقد كانت مشاعر بعض الأزواج قويّة تجاه هذا الموضوع كما يظهر في التعليق الآتي:

الأمر الأسوأ هو الحفاضات وخصوصاً عندما تكون متسخة. أن يُحمل الطفل إليك وأنت تأخذين حماماً وحفاضاته متسخة وعليك أن تتطّفيه.

النصائح المتناقضة: وأخيراً تحدّث بعضُ الأزواج عن النصائح المتناقضة التي تلقّوها حول العناية بالطفل. على الرغم من أننا وضعنا هذا الأمر تحت عنوانٍ منفصلٍ إلا أنّ النصائح المتناقضة تزيد من شعور الزوجين بأنهما لا يعرفان ما يجب القيام به تجاه الطفل (ناقشنا هذا الأمر سابقاً). على سبيل المثال، قال أحد الآباء الجدد:

إذا أردنا نصيحةً من الأشخاص الآخرين سوف يقولون لنا «إنها تبكي وحسب» «إنها عادة سيئة» «دعها في مهدها» ولكن على أي حال، الأمر يتمُّ بالتعلُّم والاكتشاف لأنَّ هناك كثيراً من الآراء المختلفة حول ما يجب القيام به.

من المثير للاهتمام أن النصائح المتناقضة التي يشتكي الأزواج منها لم تأتِ دائماً من الإنصات إلى الأصدقاء أو أفراد العائلة الحوار الآتي يبيِّن كيف أنَّ الزوجين حصلوا بعد عدَّة اتصالاتٍ مع مؤسسةٍ صحيَّةٍ واحدة على أجوبة مختلفة عن سؤال يتعلق بصحة ابنتهما:

الزوج: الأمر الأسوأ هو عدم معرفتنا بما يجب القيام به وإذا كانت هناك ممرضات يُصغين إلى هذا الحديث أرجو منهنَّ أن ينسقن فيما بينهنَّ. «استخدم موليتجين» «استخدام هذه القطرات» «لا تستخدم هذه القطرات» «استخدم موليتجين» «لا تستخدم

موليتجين» «استخدم عصير الخوخ» «إنها صغيرة جداً على عصير الخوخ» «عودي إلى الماء والسكر» وهو ما بدأنا به!

الزوجة: الماء والسكر هذا كل شيء.

الزوج: لقد استخدمنا خمسة وصفات ثم عدنا إلى حيث كنا مرة أخرى.

الزوجة: وكل شخص يخبرك أمراً مختلفاً.

الزوج: إن ما أزعجني هو أننا اتصلنا بالرقم نفسه وحصلنا على عدة أجوبة للسؤال نفسه.

إحدى النقاط التي برزت حول النصائح المتناقضة هي أن هذه المشكلة كما ذكرنا سابقاً يمكن وضعها تحت بند «الجهل بما يجب القيام به».

في التعليق الآتي تصفُ أم التشويش والقلق اللذين شعرت بهما حول موضوع الإرضاع وقد فاقم منهما النصائح المتناقضة التي أُعطيت لها في المستشفى:

كنت سأقول: إنَّ أكبر تحدٍّ بالنسبة لي كان هو الإرضاع. لقد كان الأمر بمثابة تسلُّق جبلٍ وكان ذلك تحدياً كبيراً. في كلِّ يوم كنتُ أتساءل «هل يمكنني فعل هذا الأمر؟ هل أنا قادرة على ذلك؟» لقد ساعدتني الممرضاتُ لكنَّ كلُّ واحدةٍ منهنَّ كانت تقول شيئاً مختلفاً. كان هناك الكثيرُ من التشوُّشِ وكلُّ ممرضةٍ كانت تريدُك أن تقومي بالأمر وفقاً لطريقتها. كنت أفكر دائماً «ما الذي قالته

هذه الممرضة أو تلك الممرضة» وعندما كُنْتُ أقومُ بعملٍ ما كان دائماً هناك من يقول لي «لا تفعلِ به هذه الطريقة».

ليس هناك أمرٌ سيء فيما يتعلق بإنجاب الطفل الأول!

قبل أن ننتهي من موضوع «أسوأ التجارب» من المهم أن نلاحظ أن خمسة أزواج قالوا إنهم لم يستطيعوا أن يحددوا أمراً سيئاً له علاقة بإنجاب الطفل الأول.

وجد هؤلاء الأزواج قدوم الطفل الأول أمراً سهلاً وممتعاً «كما هو مكتوب في الكتب وبشكل واضح» أو قالوا إنهم تعاملوا مع الطفل ببساطة «كما تأخذ البطَّة طفلها إلى الماء» بالطبع، إنَّ أحد الأسباب التي جعلت الأمر سهلاً على بعض الأزواج هو أن أطفالهم كانوا أقلَّ صعوبةً أو أقلَّ متطلِّبات. ذكرت إحدى الأمهات الجديديات:

إنَّ طفليتي ليست من النوع الذي يبكي دائماً. إنَّ جيرانني يسألون والدي التي تسكن في آخر الشارع «هل ما زالت لديها تلك الطفلة؟» (تضحك). تقول لهم والدي «نعم هي هناك منذ أسابيع» فيقولون لها «لكننا لم نسمعها تبكي أبداً».

كذلك ذكر أحد الآباء الجدد أنَّه لا شيء له علاقة بالطفل الجديد لم يُسعده. ثمَّ أضاف قائلاً «الجزء الأسوأ، عندما أكون بعيداً في العمل!».

أفضل التجارب

بالمقابل، كل الأزواج الذين تمَّت مقابلتهم كانوا قادرين على تحديد جوانب متعلّقة بإنجاب الطفل الأوَّل اعتبروها «الأفضل». مرَّةً أخرى (كما هو الحال في أسوأ التجارب) كل الأزواج تقريباً أثاروا عدَّة موضوعات في هذه المرحلة من النقاش. الموضوعات التي أُثيرت من قِبَل خمسة أزواج على الأقل رُتِبَتْ مرَّةً أخرى حسب تكرارها:

45	ابتسامة الطفل
31	مجرّد أن يكون لديك طفل
25	التفاعل الاستجابي
23	رؤية التغيُّرات
11	أن يكونوا معاً كعائلة
11	تمييز الطفل لوالديه
10	زيادة الاقتراب من الزوج الآخر
7	علاقات مع الآخرين
7	أن تكون وسيلة لخلق حياة جديدة

ابتسامة الطفل: الحكمة الشائعة تقول إن الأسابيع الأولى من رعاية الطفل قد تكون صعبة على والديه لأنَّ والديه لا يريان إلا القليل من المكافأة المباشرة على جهودهما، لكن ذلك كله يتغيَّر عندما يبدأ الطفل بالابتسام، إن الآباء والأمهات الجدد في دراستنا يوافقون على وجهة النظر هذه إذ وضعوا «ابتسامة الطفل» على رأس قائمة الأمور الأفضل.

لقد كان الآباء والأمهات مفتونين بابتسامه أطفالهم. على سبيل المثال، علقت إحدى الأمهات:

ابتساماته الواسعة، إنها رائعة. لقد بدأت في الأيام العشرة الأخيرة فقط. إنها ابتسامه حقيقية. ما إن تداعبُ وجنته حتى يعطيك تلك الابتسامه الرائعة.

كذلك تحدث أحد الآباء عن شعوره الرائع عندما يرى ابتسامه طفلته حتى في الساعات الأولى من الصباح:

رؤية ابتساماتها. إنها تراقبك وأنت تمشي في الغرفة وتبتسم. وفي الصباح في الساعة الثالثة صباحاً عندما نطعمها تبتسم أيضاً.

مجرد أن يكون لديك طفل: حوالي ثلث الأزواج تحدثوا عن «الجانب الأفضل» من إنجاب الطفل الأول بشكل عام جداً. على سبيل المثال، أحد الآباء الجدد عانى من مشكلة في التعبير عن مشاعره وأخيراً قال «حسناً لقد حصلتُ على طفلة، إنها رائعة» عانت أم أخرى من الصعوبة في التعبير عن سعادتها كونها أصبحت أمّاً:

لا يمكنك وصف الأمر. منذ اللحظة التي رأيته فيها، منذ ولادته، لا أدري ما هذا الشعور لا أستطيع التعبير عنه بالكلمات. فكّرتُ في هذا الأمر كثيراً لكنّه ابني وحسب وكلُّ ما أريده هو أن أرحاه وأحميه وأحبه.

الآباء والأمهات الذين ركّزوا على «مجرد أن يكون لديك طفل» تحدثوا عن «معجزة» «كلّه بشكلٍ عام» «مجرد وجوده» «مجرد أن



يكون لديك شيءٌ صغيرٌ لطيفٌ» بالنسبة لهؤلاء الآباء والأمهات كان مجرد وجود الطفل أمراً مبهجاً جداً أكثر من أي جانبٍ خاصٍ بعينه. هذا الشعور وُصفَ بشكل واضح من قِبَل زوجين كانا يحاولان الإنجاب لفترةٍ طويلة ونجحاً في النهاية نتيجةً للتلقيح الاصطناعي قالت الزوجة إنها وجدت نفسها تفعل كلَّ «تلك الأمور المملّة» التي يفعلها الآباء والأمهات الجدد «كالنظر إلى أصابع الطفل وقدميه وتأمّل جمالها» وافق زوجها على هذا الشعور بروعةٍ إنجابٍ طفلٍ قائلاً «بعد ستة عشر عاماً حققنا رغبة قلبينا».

التفاعل الاستجابي: بالنسبة لِبعضِ الآباءِ والأمهاتِ كانت المتعة الأكبر في التفاعل مع الطفل ورؤيته وهو يستجيب لهم. عبّر زوجان عن ذلك بقولهما:

الزوج: الاستجابة.

الزوجة: نعم، إن الاستجابة لطيفة حقاً وهو يحاول التحدُّث إليك. بعد الحمام يقول «آه» و«أوو» ويراقبك وأنت تحركين شفتيك ويحاول تقليدهما. إنه أمرٌ رائع حقاً، عندما يحاول الطفل التفاعل معك.

هذا النمط من التفاعل المتبادل كان ينظر إليه على أنه مُجزٍ بشكلٍ كبيرٍ سواءً من الأزواج أو الزوجات وقد عبّر هؤلاء بشكلٍ واضحٍ عن الفرق بين الأسابيع الأولى من حياة الطفل (عندما كان لا يستجيب لأبويه) وتجاربهم اللاحقة معه:

الأمر الأفضل؟ كونها بدأت بالتفاعل. قبل ذلك كان طريقاً ذا اتجاه واحد. كنت أطمعها وأغير ملابسها وهي لا تعرفني. ربما تعرفني لكنها تستجيب لي. ولكن ما إن بدأت بالاستجابة حتى أصبح بالإمكان النظر إليها واللعب معها لساعات. لقد كان ذلك فرقاً كبيراً. لدينا نوع من التفاعل هنا.

كذلك قارن زوجان آخران بين استجابة طفلهما الحالية وتجربتهما المبكرة معه عندما كان وجهه (خالياً من التعابير). يشير هذا المثال إلى أن الاستجابات التي يتحدث عنها الأزواج عادةً هي متابعة الطفل للأشياء بعينيه ومراقبة الناس أو الأشياء بشكل أكثر تركيزاً. إن انتظار هذه الاستجابات من قبل الأزواج يشبه انتظار الابتسامة الأولى.

هناك موضوع آخر له علاقة بهذا الأمر تكرر ذكره من قبل الأزواج وهو إدراكهم لاستجابة أطفالهم لمحاولات التهذئة التي كانوا يقومون بها. بعبارة أخرى، كانوا فخورين ومسرورين بقدرتهم على تهذئة أطفالهم عندما تبدو عليهم علامات الضيق:

عادةً ما أستيقظُ وأطمعها ثم نستلقي في السرير معاً لفترة من الزمن. هذا أمر رائع وهي تستجيب لذلك حقاً لأنها هادئة جداً. خصوصاً إذا كانت منزعجة وأنتِ تغيّرين حفاظاتها وهي تبكي وأنتِ تحاولين إسكاتها بشتى الوسائل عندما أضعها في السرير فتهدأ بشكل فوري. إنها تسترخي حقاً وترين جسدها كله مسترخياً. إنه أمر جيد حقاً.

هذا الإحساس بالقدرة على السيطرة عبّرت عنه إحدى الأمهات الجدد بالشكل الآتي:

إنه أمرٌ يُشعّرني بالفخر أن أكون قادرة على إسكاته عندما يبكي. أن أكون قادرةً على التخفيف من إنزعاجه في هذا العمر. إنه شعور قوي أن أكون قادرة على إرضائه بشكلٍ فوري وإن كان هذا الرضا لا يستمرُّ طويلاً بعد ذلك (تضحك).

رؤية التغيّرات: بما أن الأطفال يكبرون ويتطوّرون بسرعة فليس غريباً أن بعض الأزواج ذكروا أنهم كانوا يشعرون بكثيرٍ من المتعة أثناء مراقبتهم لتطوّر أطفالهم. ذكرت إحدى الأمهات «إن مجرد مراقبة التغيّرات التي تحدث لها هو أمرٌ رائع».

التغيّرات التي ذكرها الأزواج تتضمّن إصدار أصوات جديدة وتعابير الوجه الجديدة والحركات الجديدة. إحدى الأمهات قالت إنَّ باستطاعتها الآن أن ترى «شخصية كاملةً صغيرة تتطوّر عند ابنتها».

إذن بالنسبة لبعض الأزواج كان الجزء الأفضل من إنجاب الطفل الأول هو ببساطة مراقبة أطفالهم وهم يتطوّرون ويتغيّرون. علّق هؤلاء الأزواج قائلين إنَّهم يرون هذه التغيّرات من أسبوعٍ إلى آخر أو حتى من يومٍ إلى آخر. إنَّ رؤية هذه التغيّرات أعطى الأزواج شعوراً بتقدّم أطفالهم.

على أي حال، بالنسبة لبعض الأزواج لم تكن المتعة في مراقبة التغيّرات وحسب، بل أيضاً في إدراك هؤلاء الأزواج بأن رعايتهم للطفل جعلت هذه التغيّرات ممكنة.

ذكرت إحدى الأمهات على سبيل المثال، بعد أن وصفت تطوّر طفلتها «تعلمين أنها تتطوّر وأنتك تساعدينها بتحريض كل تلك الأمور المختلفة فيها».

أن يكونوا معاً كعائلة: تحدّث عددٌ من الأزواج عن متعة «الشعور العائلي». هذه المشاعر كانت حول التمتع بوجودهم معاً والقيام بالأمر معاً وقضاء وقت ممتع مع بعضهم. أحدُ الآباء الجدد قال إنَّ أفضلَ ما في الأبوةِ أمرانِ اثنان: وجود زوجته ووجود طفله. بعبارةٍ أخرى، إن القدرةَ على المشاركة في الوقت والنشاطات والتجارب هو الذي يخلق هذا «الشعور العائلي».

بالنسبةٍ لزوجينِ تمثّل هذا الشعورُ العائلي بتجربتهما الأولى (كأبوين) مع يوم الأم وقد أخذت البطاقات والهدايا المتعلقة بهذا اليوم أهميةً كبيرة عند الأم. عندما نوقش هذا الموضوع أشار الأبُ بسرعةٍ قائلاً «إن يوم الأب أصبح قريباً!».

اعتبر أحدُ الأزواج الشعور بوحدة العائلة موضوعاً مهماً وعلّق قائلاً «أنظرُ إلى الطفلةِ وأفكّر، هذه هي عائلتي وأعتقد أنها تفكّر تجاهنا بالطريقة نفسها» على الرغم من أنّ هذه الملاحظة الأخيرة تبالغ في تقدير قدرة الطفلة على التعليل وتبادل المشاعر إلا أنها تعكس بوضوح أهمية العائلة بالنسبة إلى الأب. تحدّثت زوجةٌ أخرى عن مدى ارتياحها هي وزوجها لفكرة العائلة وكم هما يشكران الله على تحوّل هذه الفكرة إلى واقع.

تمييز الطفل لوالديه: هذه التعليقات حول الشعور العائلي تقودنا إلى النقطة الآتية وهي تجربة تمييز الطفل لوالديه. هذا الموضوع يشبه «الابتسامة الأولى» و«التفاعل الاستجابي» من حيث إن كل هذه الجوانب تركّز على التفاعل المتبادل بين الطفل ووالديه. مرةً أخرى، إن شعور الوالدين بتمييز الطفل لهما أو إدراكه «من هما» يُشعر الوالدين بالتمييز والقوّة وقد وصفت إحدى النساء ذلك بقولها.

كنتُ في محلٍّ لشرب القهوة وقالت إحدى السيدات «هو يريد أمّه» وناولتني إياه. ما إن استقرّ بين ذراعيّ حتى توقّف عن البكاء وفكّرتُ «أنا أمّه» وقلتُ في نفسي «أوه، إنه يعرفُ من أنا» ثمّ استلقى على عنقي وشعرتُ بهذا الشعور «واو، إنّه يعرفني حقّاً».

بعبارة أخرى إنَّ بعضَ المتعة التي يشعُرُ بها الوالدان من تمييز الطفل لهما تعكس إحساسَهُما المتنامي بالكفاءة والتمكّن من دور الأب أو الأم. وصفتُ إحدى الأمهات شعورها الإيجابي عندما كانت ابنتها تبكي «حملتها فتوقّفتُ عن البكاء لأنها تعرفُ من أنا».

زيادة الاقتراب من الزوج الآخر: من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه على الرغم من أنَّ بعض الأزواج ذكروا أنَّ الطفل «فرّقَ بينهما» عندما سئلوا عن (أسوأ التجارب) فإنَّ بعضهم الآخر ذكروا استجابة معاكسة. أي أنهم شعروا أنهم أقربُ إلى أزواجهم مما كان عليه الأمر قبل الولادة. على سبيل المثال، وافق أحد الآباء الجدد عندما علّقت زوجته على شعورها بالاقتراب منه قائلةً:

نعم هناك بالتأكيد شيءٌ خاص في علاقتنا لم يكن موجوداً من قبل. لا أستطيع أن أشرحه لكَّه شيءٌ ما بيننا مختلفٌ قليلاً.

كذلك وصفت إحدى الزوجات مشاعر الحميمية بشكلٍ واضح عندما علَّقت قائلة:

أشعر أنّها قَرَّبَتنا من بعضنا. أحياناً تستلقي في السرير بيننا ونحن ننظر إلى بعضنا ثمَّ نمضي «أوه!» (تضحك).

إن الشعور بزيادة القرب الذي ذكره بعض الأزواج يبدو أنه ينبع من التجربة المشتركة المتعلقة بإنجاب الطفل الأول وخصوصاً عندما يحاول الزوجُ والزوجَةُ العملَ معاً على القيام بالمهام واتخاذ القرارات. ذكرت إحدى الزوجات أنَّ إنجاب الطفل الأوَّل قَرَّبها من زوجها «بطريقةٍ مختلفة - لقد أصبحنا الآن وكأنا شريكين» بعبارةٍ أخرى لقد استجاب هؤلاء الأزواج للمتطلبات الإضافية التي يحتاجها الطفلُ بالعمل كفريقٍ واحد وبالاعتماد على بعضهما بشكلٍ أكبر.

علاقات مع الآخرين: في مناقشاتهم عن أفضل الأمور المتعلقة بإنجاب الطفل الأوَّل ركَّز بعضُ الأزواج على تحسُّن العلاقات مع الأشخاص القريبين منهم.

وجدتُ أنَّ قدومَ الطفل مَكَّن والدتي من التواصل معي على مستوى آخر. في السابق كُنَّا عندما تحدثتُ مشكلات نتواصل كأُمِّ وابنته. اليوم هناك أمُّ وابنة وحفيدة. وكأنا حصلنا على مساحةٍ ثالثة نتناقش فيها.

تحدّثت زوجةً أخرى عن ردّاتِ فعلٍ مختلفٍ أفرادِ العائلةِ على قدومِ الطفلةِ وما تركته من شعورٍ بالترابطِ العائلي:

الأمرُ الأكثرُ روعةً بالنسبةِ لي هو رؤيةُ الجدّين والطريقة التي استجابا بها لقدومِ الطفلِ لقد كانا يجلسان ويحدّقان بها، لقد عشقاها فعلاً. كذلك أبناءُ - إخوتي وأبناءُ إخوةِ زوجي الذين تتراوح أعمارهم من 6 إلى 14 عاماً، إن رؤيةَ تفاعلهم معها كان أمراً مبهجاً. لقد جاؤوا جميعاً إلى المستشفى وقدّموا البطاقات ورسوموا لها صوراً وأحضروا هدايا قاموا بصناعتها. وعندما عادت إلى المنزل أرادوا جميعاً أن يأتوا في أقرب وقتٍ لمشاهدتها. إنه لأمرٌ مُمتعٌ أن ترى طريقةَ ترحيبهم بقدومها.

لاحظ بعضُ الأزواج أن زملاءهم في العمل وأصدقاءهم ساعدوهم كثيراً. قالت إحدى السيّدات إنها قضت أياماً مع زوجها وهما يكتبان بطاقاتٍ شكرٍ لأولئك الذين ساعدوهما بطريقةٍ أو بأخرى. لقد قدّرت إسهامات الآخرين لأنّها «أظهرت مدى أهميّتنا بالنسبة للآخرين» وصفَ زوجان آخران استجابةً اجتماعيةً أخرى أكثر شمولاً فقد كان الطفل يشدُّ انتباه الجميع تقريباً ويرسم الابتسامات على وجوه الجميع» على سبيل المثال، ذكرت إحدى الأمهات:

إننا نلتقي بكثيرٍ من الناس. في الحقيقة من المدهش عددُ الناس الذين نلتقي بهم. إنهم يوقفونك في الطريق أو في مركز التسوق ويسألونك «كم عمرها؟» ونحن نعتقد أن هذا أمرٌ جيّدٌ حقاً.

على أي حال سيكون من السداجة الاعتقاد بأن كل أفراد الشبكة الاجتماعية متساوون في الترحيب بقدوم الطفل الجديد وفي المشاركة في الاهتمام به. فقد رأى أحد الأزواج أن التغييرات التي حدثت والتي لها علاقة بالأشخاص الآخرين كانت معقدة تماماً.

لقد شعر ذلك الزوج هو وزوجته بأنهما أصبحا أكثر قرباً من بعض الناس لكنهما ابتعدا عن أناس آخرين بسبب اهتماماتهم الجديدة بطفلها وبالأمر المتعلقة به:

يبدو أنني أصبحت أكثر قدرة على الحديث مع الناس الذين لديهم أطفال. لأنني أصبحت مدركاً للأمور التي يتحدثون عنها. لقد اعتدت أن أفكر بالطريقة الآتية عندما أتحدث مع الأشخاص الذين لديهم أطفال «أنتم مملون، ولن أتحدث معكم مرة أخرى» لكنني الآن أستطيع أن أفهم لماذا كانوا يتحدثون بهذه الطريقة، لأن كل حياتهم صارت تدور حول الطفل. لكننا نجد بعضاً من أصدقائنا الذين أصبحنا نشعر بالملل من وجودنا معهم أو يشعرون بالملل من وجودهم معنا مع أننا كنا قريبين منهم حقاً قبل ولادة الطفل.

أن تكون وسيلة لخلق حياة جديدة، وأخيراً، وصف بعض الأزواج أن أفضل ما شعروا به بعد إنجاب الطفل الأول هو إحساسهم بأنهم كانوا وسيلة لإيجاد كائن جديد. بعبارة أخرى لقد كان تركيزهم على روعة الإنجاز الذي حققوه. وُصِفَ هذا الشعور بعدة طرق مثل «مجرد رؤية النتيجة النهائية التي حققناها» «رؤية الحصيلة» «إدراكنا بأننا جلبنا هذا الشخص الصغير إلى العالم»



ذكر أحد الآباء أنه كان شعوراً غريباً (ورائعاً في الوقت نفسه) أن «تري جزءاً منك يعادُ إنتاجه مرةً أخرى» كذلك قالت إحدى الأمهات إنها ما تزال تجد صعوبةً في تصديق «أننا صنعناه حقاً» بالنسبة لبعض الأزواج. كانت أهمية كونهم وسيلةً لإيجاد كائنٍ جديد تكمن في الشعور بالاستمرارية من خلال الطفل.

علق أحد الآباء أنه كان مهماً بالنسبة له أن يعلم «أنه إذا حدث لك أمرٌ ما، فإنَّ شخصاً آخر قد أصبح جزءاً منك» عبر أبٍ آخر عن ذلك ببلاغة ووضوح قائلاً: هذا هو ما بعد الحياة الموجود حقاً. مادتك الوراثية تستمرُّ بطريقةٍ أو بأخرى. بإمكانك أن تفكّر في الأمر كيفما تشاء إنَّه أمرٌ رائعٌ بكلِّ ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

الرجال والنساء والطفل الأول

قبل أن ننهي حديثنا عن المقابلة الثانية، من المهم أن نلاحظ أن بعض الأزواج كانوا يعتقدون أن خبرات الرجال والنساء عن الطفل الأول مختلفة تماماً. على سبيل المثال، في الحوار الآتي يصف الأبُ الطفلةَ بأنها (مملّة) ويعتقد أنها ستصبح ممتعةً عندما تكبر. إضافةً إلى ذلك عندما خالفته زوجته في هذا التقييم بدا وكأنه يرفضُ وجهةَ نظرها:

الزوج: إذا أردنا الموضوعية. إنَّها مملّةٌ جداً، إنها تبكي كثيراً وتطلب الكثير. ولكن عندما تفكّر بكلِّ الأشياء العظيمة التي ستقوم بها وكل الأوقات الممتعة التي ستقضيهامعها كتعليمها المشي وركوب الدراجة والاحتفال بأعياد ميلادها. إنها لا تتفاعل كثيراً الآن.

الزوجة: لكنها تتفاعل، إنها تتفاعل.

الزوج: نعم، لكن هذا ما تعتقده الأمهات عادة.

على أي حال، اعترف هذا الزوج أن زوجته تقضي وقتاً أطول مع الطفلة وربما تلاحظ أموراً لا يلاحظها هو. إن انخراط الأم أكثر من الأب في المهام والإجراءات التي تتطلبها رعاية الطفل يتضح بشكل أكبر في هذا الحوار بين زوج وزوجته:

الزوج: لم تنتبه كثيراً إلى علامات التطور عندها.

الزوجة: بل فعلنا ذلك.

الزوج: لكننا لم ندون هذه الأمور.

الزوجة: لقد قمتُ بذلك.

الزوج: هل فعلتِ ذلك؟

الزوجة: إنها في مفكرتي الآن.

الزوج: عظيم (يضحك).

في تصريح آخر عن أدوار الرجال والنساء بصفتهم أبوين، عبّرت إحدى الأمهات عن شعورها بالظلم إذ تقوم هي بمعظم أعمال رعاية الطفل في حين يتمتع زوجها بالطفل!

ترضعين الطفل مدة ساعة ثم تنظفينه ثم تغيرين ثيابه وكل هذه الأمور ثم أفكر «سوف أطلب من زوجي أن يقوم بواجبات الأبوة» وأطلب منه أن يرعى الطفل أثناء قيامي ببعض الأمور

فيلعبُ معه، عندها أقول لنفسي «أوه، أنا لا أَلعبُ معه» إنني كُلُّ حاجاته الأساسية لَكِنَّه الآن أصبح أكثر استيقاظاً وعلِيَّ أن أَلعبُ معه (تضحك).

عَبَّرتْ زوجةٌ أخرى عن مشاعرها تجاه واجبات الأمومة لكنها أظهرت استياءً أكبر من موقف زوجها:

اليوم بكى الطفل ثم بكى وبكى وبكى وبكى. دائماً أفكّر «سيصلُ زوجي إلى المنزل الساعة الخامسة» فأجهزُ كُلَّ شيءٍ وأنتظر عودته إلى المنزل بحيث أستطيع الذهاب فيقول لي «عظيم أعطني بعض الوقت حتى ألتقط أنفاسي» لكنه لا يفعل شيئاً. عندما يأتي في الساعة السادسة والثلاث يقول لي «حسناً، أريد بعض الوقت» ثم يعود ليحتسي البيرة مع أصدقائه. ثم يقول «أريد وقتي» فأقول لنفسي «وماذا عن وقتي؟» «لا يمكنك أن تدرك صعوبة الأمر».

أحد الآباء اعترف بالفرق بين دورَي كُلِّ من الجنسين. أي أنه وافق على أن الأبوة مهمةٌ سهلة بالنسبة له لأنه لا يمكث في البيت طويلاً وبالتالي لا يتأثر بطلبات الابن أو الفوضى التي يسببها.

كما لاحظنا في بداية هذا الفصل فإن افتراض توقعات ثابتة لدور كُلِّ من الجنسين (أيُّ عمل هو مهمةُ النساء) غالباً ما يجعل التلاؤم مع إنجاب الطفل الأول أكثر صعوبة. كثيرٌ من الأزواج لاحظوا أنهم لم يعودوا يفكِّرون بتلك الطريقة، أي أنهم يعتقدون أنه إذا كان النساء يقومون بمعظم أعمال الرعاية المتعلقة بالطفل فعلى الرجال أن يقوموا بمزيدٍ من مهام المنزل (تطرقتنا إلى هذا الموضوع

بمزيد من التفاصيل في الفصل التاسع الذي ركّز على التقارير المأخوذة من اليوميات التي تتحدث عن أعمال المنزل).

بما أن الكثير من الأزواج أدركوا الحاجة إلى مناقشة الأنماط الجديدة من أعمال المنزل من المهم ألا نبالغ في تأثير الاختلاف في وجهات النظر بين الرجال والنساء وألا نفترض أن هذا الاختلاف سيسبب مشكلات دائمة بين الزوجين. إضافةً إلى ذلك، كما بيّنُ التعليقُ الآتي من أحد الآباء، فإن بعض الأزواج نجحوا في التوفيق بين وجهات النظر تلك من خلال فهم أعمق لمعنى الأبوة والأمومة:

عندما ولد ابني كنتُ أثور كثيراً بسبب تأخر زوجتي في أداء مهامها في البيت. كنت أقولُ في نفسي «ما الذي فعلته اليوم؟» «ما الذي كنت تفعلينه؟ ما مدى صعوبته؟» إن الأمر لا يعدو مجرد إطعامه وتنويمه ثم القيام بواجبات المنزل. ثم في أمسية من أمسيات السبت تكفّلتُ برعاية الطفل ثلاث ساعات. لقد تركته وتمشّيتُ مدةً وجيزة لأنني شعرت أنني على وشك أن أُلقي به من الباب الأمامي أو شيءٍ من هذا القبيل. لقد عجزتُ عن حملِه على النوم وأدركتُ يومها «أنه ليس باستطاعتي القيام بذلك».

خلاصة

إن تقارير الأزواج عن الأسابيع الأولى القليلة من قدوم الطفل الأول أظهرت الكثير من الاختلاف في وجهات النظر. إن تعليقاتهم عن «الأفضل» و«الأسوأ» فيما يتعلّق بالأبوة أو الأمومة بيّن مدى تعقّد خبراتهم. في الحقيقة، إن قدوم الطفل الأول يشبه اللغز، إذ تختلط عند الأبوين مشاعر الكدِّ والتعب بالعواطف الجياشة. هذا اللغز عبّرت عنه إحدى الأمهات بأسلوبٍ لطيفٍ بقولها:

من الصعب شرح الأمر. أليس كذلك؟ أعني، أنه من الناحية التقنية أنت تقضين يوماً مليئاً بالمتاعب، دون نوم، تمسحين الإقياء وتتنظفين الطفلة وتحاولين تهدئتها وتويمها ثم تحاولين إطعامها ثم تحاولين. ولكن كلُّ شيءٍ على ما يُرام لأنها رائعة.

إن محتوى المقابلات يركّز على الأطفال الجدد لكنه في الوقت نفسه يبيّن دور العلاقة بين الزوجين. كما يبيّن الاقتباس الموضوع في بداية الفصل، إن قدوم الطفل الجديد يجلب كثيراً من المسرّات والاكتشافات لكنّه يغيّر أيضاً طبيعة التفاعلات اليومية بين الزوج وزوجته. بالنسبة لكثير من الأزواج كان فقد الحميمية بين الزوجين هو الجانب الأسوأ فيما يتعلق بقدوم الطفل الأوّل (سواءً فيما يتعلّق بالمناقشة أو الاتصال الجنسي) أو كان القلق من عدم المساواة وعدم المشاركة في المسؤوليّة.

بالمقابل عند بعض الأزواج كان أفضل جانب من جوانب قدوم الطفل الأوّل هو الشعور بالعائلة الواحدة وبالقرب من الشريك. باختصار، من بين الأوصاف التي استُخدمت لوصف الأطفال وإيجابيات وسلبيات الاعتناء بهم كان أمراً شائعاً جداً أن يشير الزوجان موضوعات متعلّقة بالعلاقة بينهما. ربما ذُكرت هذه الموضوعات بشكل أكثر لو أننا لم نسأل الأزواج عن «أفضل» أو «أسوأ» تجاربهم. إن تعليقات الأزواج العفوية حول توفّر الشريك والاعتماد عليه والدعم والتفهم يتناسب مع تركيزنا العام على أهميّة الروابط الآمنة والمريحة بين الزوجين خلال هذه الفترة الانتقالية.